https://coptic-treasures.com/

https://coptic-treasures.com/

عناية اللّٰه في انتقال الأطفال

عن كتاب

عزاء المؤمنين

تأليف

الأرشيدياكون حبيب جرجس

https://coptic-treasures.com/

موت الأولاد

الفصل الأول

عناية الله فى نقل الأولاد

« أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم ان ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات ....ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » مت (١٨ : ١٠ ، ١٤) .
« دعوا الأولاد يأتون الى ولا تمنعوهم لأن المثل هؤلاء ملكوت السموات » مت (١٩ : ١٤) .

الأولاد الصغار ملائكة أطهار يمشون على الأرض فبطهارتهم وبساطة قلوبهم ومحبتهم العجيبة وخلوهم من الشر والدنس يمثلون الحياة الطاهرة . فهم كأزهار يبهجنا منظرها . ولكن الغاية من الزهرة الثمرة ، والأطفال أن بقوا فى العالم وكبروا وصاروا شبانا فرجالا . فامل أن يكونوا بركة أو لعنة . اما أن يكونوا صالحين أو شرار . وعلى كل حال فلابد حينئذ أن يجوزوا أتعاب وجهاد هذه الحياة . ويقفوا أخيرا للدينونة أمام الديان لينال كل واحد منهم بحسب ما صنع خيرا كان أم شرا . ولا يعلم أحد ماذا يكون مستقبل الولد ؟ أيكون فرحا لوالديه أو حزنا ؟ وهل ينفع العالم أن يضره ؟ يكرم أو يهان ؟ يسعد أويشقى ؟ وماذا يكون نصيبه فى العالم ؟ وماذا يصادف من الاتعاب التى تنتظره ، والتى لابد من مقاساتها . هذه كلها أمور خفيت وتخفى على جميع البشر . وانما الذى نعرفة أن ذلك الولد ومهما كبر ، ومهما كانت منزلته ودرجته فى العالم ومهما عمل فلا بد أن يموت أخيرا كغيره من بنى البشر . لأن قضية الموت محكوم بها على الجميع . ولا يستثنى منها أحد وكل انسان

https://coptic-treasures.com/

رهين الموت . ولكن البعض يسألون بجسارة قائلين : ما الحكمة فى ايجاد أطفال زمنا قصيرا ثم يموتون ؟ لا هم انتفعوا من العالم ، ولا العالم انتفع منهم . فإن كنا لا نستطيع ان ندرك مقاصد الله العليا . ولا ما هى احكامه العاليه فوقنا إلا اننا نجيب على ذلك بأن الله خلقهم لتكميل مقاصده خالق البشر . فلولم يولدوا لبطل قصد الله . وعدمهم يجعل عدد المخلوقات المعين ناقصا . والوجود نعمة كبرى خلاف العدم الذى هو لاشىء فقد وجدوا واعتبروا كائنات حية وذرات عاقلة أمام الله . وبقاؤهم على الأرض زمنا قليلا وفق مقاصد الله العليا . لأنه لم يشأ عدمهم ولا هلاكهم بل خلاصهم . وهو القائل له المجد : « ليست مشيئة أمام أبيكم أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » و « دعوا الأولاد يأتون الى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » فان شاء الله أن ينتقل الأطفال والاولاد اليه وهم صغار . فكفى بهذا القول تعزية .

وكما أنه يحق لصاحب الكرم أن يقطف ثمر كرمه فى أى وقت شاء قبل أوان نضجه ليأكل حصرما ، أو يصنعه شرابا أو بعد نضجه ليصنعه خمرا . وكما أنه فى يد البستانى أن يجنى زهور بستانه ليزين بها بيته أو يتركها لتصير ثمرا . هكذا الله تعالى له السيادة والسلطان على خليقته ليتصرف بها كيف شاء وحسبما أراد ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل ؟ فهو يتصرف تصرف البستانى وصاحب الكرم . فينقل بعض أولاده أطفالا وأولادا وشبانا كما يشاء والأولاد وديعة من الله عند الاباء ، له أن يستردها متى شاء . لا ملكا خاصا لهم حتى يعارضوا فى تسليمها ويتذمروا متى أراد استردادها ، لا سيما متى عرفنا أن الله نقل هؤلاء الصغار لا الى الموت والهلاك ، بل لكى يقفوا مع الجمع الكثير الذى لم يستطيع أحد أن يعده من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة الواقفين أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين : الخلاص لالهنا الجالس على العرش وللخروف رؤ (٧ : ٩ ، ١٠) فلو لم يولدا لما استحقوا أن يحوزوا هذا النصيب ، ومتى تأملنا ذلك مجدنا الله وقلنا مع أيوب : الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا أى (١ : ٢١) ونبارك تلك اليد الحنونة التى اختطفتهم باكرا قبل أن يتلطخوا بلوزار وأقذار العالم وشروره ، وقبل أن يتحملوا بالأتعاب والالام . وقبل أن يعرفوا الخطية وفساد الطبيعة البشرية .

https://coptic-treasures.com/

وندرك كيف أن الله أنقذهم من الأخطار التى كانت تنتظرهم ، واورثهم كمال الفرح فى ملكوت . فهم أغراس نقلهم من عالم الفساد وغرسهم فى فردوسه السماوى .

اذا طلب ملك أحد الأولاد لينظمه فى سلك عائلته الكريمة ليربيه ويؤهله للميراث الملكى . فمن يستطيع أن يمنع والده هذه المنحه ؟ ومن لا يرضى له هذا النصيب السامى ؟ أما كنا نحسب ذلك رفعة كبرى لنا ولأولادنا ؟ فلماذا نتذمر اذا على عناية الله التى شاءت أن تأخذ ذلك الولد ليحصل على نعمة ونصيب أفضل من أى نصيب ملكى على الأرض . أما هى نعمة كبرى أن الله اختار هذا الولد وأحبه ونقله اليه ليقف مع الملائكة أمامه تعالى ، ولماذا نأسف على هذا النصيب الصالح الذى حازه ولدنا ؟ لا شك أن حزننا ما هو الا نوع من محبتنا لذواتنا . فاننا بذلك نفضل خيرنا وسرورنا بمرآه وتمتعنا به أمام أعيننا على حصوله على ذلك النصيب السعيد المجيد . ليتنا نصمت ونضع أيدينا على أفواهنا أمام كل ما يعمله الله متذكرين قول السيد لبطرس : « لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد » يو (١٣ : ٧) ونبارك الله ونقول : صمت لا أفتح فمى لأنك أنت فعلت مز (٣٩ : ١٩) هو الرب مايحسن فى عينيه يفعل ١ صم (٣ : ١٨) لتكن مشيئتك مت (٦ : ١٠) لتكن لا ارادتى بل ارادتك لو (٢٢ : ٤٢) .

اذكر أنك مرارا أدبت أولادك لا حقدا ولا غضبا بل قصد نفعهم وخيرهم . وما حملك على ذلك الا محبتك لهم . قال الرسول بولس « كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم . أفلا نخضع بالأولى جدا لأبى الأرواح فنحيا لان أولئك أدبونا أياما حسب استحسانهم وأما هذا فلأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته » عب (١٢ : ٩ ، ١٠) فاذا أدبنا الآب السماوى بأن أخذ ولدنا وأبعده عنا فهو تعالى قد أحبه وأحبنا . هو أعطى فلاسمه الشكر ، وأخذ فيحق له الشكر أيضا . فان كنت باركته وشكرته عندما أرسل الولد الى عالم الأحزان . أفلا يستحق الشكر والتمجيد على نقله اياه منه الى عالم المجد . فان محبة الله فى أخذه أعظم بكثير من محبته فى اعطائه . فله الشكر على كل حال وفى كل حال ومن أجل كل حال .

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثانى

امثلة معزية

من قصص اليهود الواردة فى كتبهم أنه كان للحاخام ما ير ولدان بارعان فى الجمال والعلوم والشريعة فماتا فى يوم واحد أثناء غيابه فحملتهما أمهما الى حجرتها ووضعتهما على السرير . فلما عاد زوجها سألها عن ولديه فقدمت له كأسا فشكر الله وشرب ثم سأل أين ولدى قالت انهما ليسا بعيدين . ثم وضعت أمامه طعاما فصلى وشكر ثم تناول منه حاجته : وحينئذ قالت له أتسمح لى ياسيدى العزيز أن أسألك سؤالا واحدا . قال قولى ما بدا لك أيتها العزيزة . فقالت منذ بضعة أيام أودع عندى انسان شيئا من الجواهر ثم حضر الآن يطلبها منى فهل ينبغى أن أردها له ؟ قال : ما كنت أظنك تسألين سؤالا كهذا . ألم تعلمى أنه يجب رد الوديعة الى أصحابها واعطاء كل ما له . قالت نعم انما ظننت الأفضل أن لا أعيدها قبل أن أسألك . ثم دعته الى المخدع الذى فيه جثتا الولدين وأزاحت الغطاء الأبيض عنهما . فصرخ بلوعة وحزن شديد وأخذ يندب ولديه . أما هى فقد التفتت الى غير الجهة وبكت بمرارة ثم أمسكت بيدى زوجها قائلة : ألم تقل لى انه ينبغى رد الوديعة الى صاحبها واعطاء كل حقه . فالرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركا . فقال نعم ليكن اسمه القدوس مباركا من الان والى الأبد .

روى الكتاب عن الملك والنبى داود أن الرب ضرب ولده الذى ولدته امراة أوريا فسأل داود الله من أجل الصبى وصام واضطجع على الأرض . وقام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ولم يأكل معهم خبزا وكان فى اليوم السابع أن الولد مات فخاف عبيد داود أن يخبروه أن الولد قد مات . لأنهم قالوا هوذا لما كان الولد حيا كلمناه فلم يسمع لصوتنا . فكيف نقول له قد مات الولد . يعمل أشر . ورأى داود عبيده يتناجون ففطن داود أن الولد قد مات فقال داود لعبيده : هل مات الولد ؟ فقالوا مات . فماذا فعل داود ؟ قام عن الأرض واغتسل وادهن وبدل ثيابه

https://coptic-treasures.com/

ودخل بيت الرب وسجد . ثم جاء الى بيته وطلب فوضعوا له خبزا فأكل . فاندهش عبيده وسألوه ما هذا الأمر الذى فعلت ! لما كان الولد حيا صمت وبكيت ولما مات الولد قمت وأكلت خبزاً ! فقال لما كان الولد حيا صمت وبكيت لأنى قلت من يعلم ربما يرحمنى الرب ويحيا الولد . والان قد مات فلماذا أصوم ؟ هل أقدر أن أرده بعد ؟ أنا أذهب اليه أما هو فلا يرجع الى ٢ صم (١٢ : ١٥ - ٢٣) .

فالولد وديعة استردها الرب لا يمكن للدموع ولا للاحزان أن ترجعه . هل تقدر أن ترده بعد ؟ لو أن الدموع تقدر أن ترده لبكى الوالدون ليلا ونهارا بل الحياة كلها . وأجروا من عيونهم أنهارا ولكن ذلك لا فائدة منه . وليس من الحكمة أن يهلك العاقل قواه عبثا . وما أحسن التعزية بتسليم الارادة للمشيئة الالهية التى قضت بذلك ولا مرد لقضائها . فخير لنا أن نتعزى بأن الولد فى السماء .

وفى القصة الاتية تعزية كبرى فيما نحن بصدده :

مات لبستانى ولد عزيز كان يحبه جدا . فأبى أن يتعزى وصرف أيامه فى الحزن والتذمر على العناية الالهية . ففى أحد الأيام رأى وردة جميلة أحسن من كل الزهور التى فى بستانه فأخذ فى الاعتناء بها ليقدمها أخيراً لسيده وجاء مرة ليفتقدها فلم يجدها فاستشاط غضبا واحتدم غيظا ظانا أن أحد الخدام سرقها . واجتهد ليفحص أين هى ؟ وبينما كان يبحث عنها رآها فى مخدع سيده وعلم أنه هوالذى قطفها لا ستحسانه اياها . فتحول غيظه سرورا وسكن باله اذ رأى أن سيده قد سر بمرآها واستحسنها فقطفها . أما السيد فقال له : قد سرك انى قطفت تلك الوردة وزينت بها منزلى فلماذا لا يسرك أن أباك السماوى شاء بحكمته أن يقطف ولدك وهو صغير وينقله من تربة الأرض ، عالم الخطية والاثم ، الى دار السرور فى جنة الخلد والنعيم حيث يكون هناك مع الملائكه الأطهار فتعزى الرجل تعزيه كبرى وسلم نفسه لمشيئة الله .

فيا أيها الوالدون لا تتذمروا على عناية الله لأنكم لا تعرفون أحكامه ولا ما هى مقاصده فربما كان فى نقله أحد أولادكم خير لكم ولأولادكم .

كم من الناس كادوا أن يموتوا لمرض أولادهم وبذلوا ما فى وسعهم لنجاتهم وعاشوا ، ولكن عيشة السوء والشر . وكانوا ضربة لأنفسهم ولوالديهم ولوطنهم

https://coptic-treasures.com/

وللعالم ، ولو عرف والدوهم مستقبلهم لتمنوا أن تقطع الأحزان أفئدتهم وتمزق الأوجاع نياط قلوبهم على أن يروهم على تلك الحال التعيسة . وقد الجأت التجارب أحد الصالحين أن يقول : خير لك أن تبكى على عشرة أولاد موتى من أن تبكى على ولد حى . تذكر حزن داود الذى أذاب فؤاده بأن طلب ابنه ابشالوم يهلكه ٢ صم (١٧) ولا شك أن محبة الوالدين لأولادهم تحملهم على أن ينكروا أن يكون أحدهم كابشالوم لأن محبتهم لهم تظهرهم أبرار فى أعينهم ، حتى فى مستقبلهم الذى لا يعرفه الا الله . ولكن الذى يعرف الخفايا ، والمكشوف أمامه كل شىء . والمطلع على الخفيات والمستقبل هو الله الذى وحده يجب أن نسلم نفوسنا لمشيئته الصالحة ونخضع لارادة أحكامه العادلة .

لقد روى أن طيب الذكر المرحوم ابرهيم الجوهرى كان رجلا تقيا صالحا وكان من عادته سنويا أن يرسل الزاد والمؤونة لجميع أديرة الرهبان .كان لهذا الرجل ابن وحيد اختطفته يد المنون فحزن حزنا شديدا ، وأفرطت زوجته أيضا فى حزنها والبست كل شىء فى بيتها علامات الحداد و فى تلك السنة امتنعا أن يقدما عادتهما السنوية للاديرة قائلين اننا قضينا حياتنا كلها فى خدمة الله ورجاله وكنائسه . وهذا الولد الوحيد لا يرضى الله أن يتركه لنا لنتعزى به ! ويكون ذكرا لنا فى هذه الدنيا ! ففى ليلة ما رأت زوجته فى حلم القديسين الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا وقالا لها ما بالك هكذا حزينة تعترضين على أحكام الله ؟ ألم تعلمى أن الله لفرط حبه لك ولزوجك وانه مكافأة لكما على أعمالكما الطيبة نقل ولدكما اليه ؟ وان هذا الوالد لو عاش لفسد وهلك واسقط اسمكما من الدنيا . فذكر الله لكما حسناتكما وأمات هذا الولد ليخلصه . وبذلك منحكما مكافأة عظمى بينما أنتما تظنان أنه تعالى أساء اليكما . فاستيقظت تلك المراة الصالحة وتعزت عزاء وافراً . وأبدلت ثيابها السوداء بثياب بيضاء . ولما استيقظ زوجها رأى كل شىء فى حالته الأصلية . وعلامات السرور بادية على وجهها . فسألها ما الخبر ؟ فقصت عليه حلمها . فتعزى هو أيضا وشكر الله على أعمال عنايته العجيبة . فعلينا أن لا نتذمر على قضاء الله لأننا لا نعرف مشيئته . على ما نراه محزنا لنا ربما كان علامة محبة الله لنا ونحن لا ندرى .

https://coptic-treasures.com/

قال الأسقف فنيلون « فى الحياة الأخرى نرى ونفهم عظائم وجود الله وعجائبه . ونسر بما أحزننا به على الأرض . ويلاه اننا فى ظلامنا الحالى لا نقدر أن نرى خيرنا من شرنا . ولو سمح الله لنا بكل مشتهياتنا لأدت بنا الى كل الويل . ولهذا ينقذنا بقطع القيود والربط التى تربطنا بهذه الديار فنكتئب لأننا لا نتذكر أن الله يحبنا أكثر مما نحب أنفسنا . ونبكى لأنه يأخذ من نحب من منازل التجارب والآثام . يأخذ من يدنا كأس السم الزعاف فنبكى كولد اخذت منه أمه السكين الامعه لئلا يشخن نفسه بالجراح . أتدرى أيها المصاب يا من لأجل تلك النازلة قد تذمرت على العناية الالهية أن ذلك الموت الذى تظنه قبل وقته هو الدليل الأعظم على رحمة الله ومحبته لك ! ولعل موت ذلك المحبوب لديك كان فداء من شر مصيبه أو ذنب عظيم سيرتكبه فيجعل خلاصه عرضة للاخطار فأخذه الله من معرض التجارب أمنا لذلك الخلاص .

نعم أن كأس الفراق أمر الكؤوس ولكن اباك الرحيم لا يحزن خليقته عبثا فلا يجرح الا ليبرء أمراض النفوس فلنتيقن ذلك زمن المصيبة ولنقل مع أيوب « انه وان قتلنى هو متكلى . رحمته هنا عمادى وفى النهاية ثوابى » هذا ما يجب على المسيحى الخاضع لمشيئة الله أن يردده فى زمن امتحانه ويقول من قلبه : « لتكن مشيئتك » وهذا ما سلكه فنيلون صاحب القول السابق ذكره اذ وقف أمام نعش أعز أحبائه الذى ود لو مات عنه قائلا : « قضى واضطجع على سرير الفناء فهلكت واضطجعت معه كل سعادتى الأرضية ولكن لو أمكن رده الى الحياة برد غرس من فردوس سعادتى العالمية ما عاندت المشيئة الالهية برده ، لو كانت قيمة ثمر ذلك الغرس تعادل سعادة عشرة آلاف عالم » فطوبى لمن يسلم أمره لارادة سيده ويعيش آمنا تحت ظل عنايته الرؤوفة فان فى ذلك كل العزاء والاطمئنان .

ooo

https://coptic-treasures.com/

الفصل الثالث

الأولاد لم يموتوا بل هم فى حياة فى السماء

من أكبر الخيرات أن الأولاد يتخلصون وهم صغار من عالم الاثم وشر الخطية بانتقالهم سريعا الى صروح الأمجاد العلوية ومقر الراحة الأبدية . فما احسن الايمان أن نتحقق أن أولادنا فى السماء ونتأكد سعادتهم . ومن يعلم ماذا يصيب الأولاد الباقين فى الدنيا عندما يكبرون ؟ ربما يعيشون ويفقدون تلك الحياة المجيدة فى عالم الأبدية . أما ذلك الولد الذى نقله الله اليه . فلا شك أنه ملاك طاهر ضمه الى صفوفه الأطهرين . فالولد لم يفقد بل هو حى فى السماء عند الرب .

أيها الوالدون أنكم تودون كل السعادة لأولادكم وتصلون لأجل نجاحهم وخلاصهم. وتسعون بكل قوتكم لايصال كل خير لهم . واذا عرض لأحدهم مرض تتسون أنفسكم وتسهرون عليه وتبذلون أنفسكم . ولا تبالون بحياتكم لأجله . لأنكم ترغبون كل الرغبة فى أن يحصل على أسمى سعادة . ألم تنذر أيها الوالد ولدك عند المعمودية بأنه يجحد الشيطان وينكر الاثم ويعيش لله ؟ فما بالك تغضب الآن وقد حصل على نصيب أحسن مما تمنيته له . وحاز مجدا وسعادة أبدية وتخلص من أتعاب الحياة ومشاهدها المملوءة بالأوجاع . ربما يقول والد ان ولده كان ذكيا عاقلا وكانت آثار النباهة بادية عليه منذ طفولته : ولو عاش لعد من الرجال الحقيقيين ونال كذا وكذا : لنفرض أنه عاش وظهرت علامات حذقه ومهارته وبلغ شأوا كبيرا فى الحكمة والعلم والمجد . فهل تقيسون حكمة الأرض بما حصل عليه من الحكمة فى السماء ؟ هناك تكشف له أعمال السرائر : وتظهر له المكنونات : ويدرك ما لا يستطيع أن يدركه أكبر الفلاسفة هنا : فهو الآن فى مدرسة المخلص يعرف مقاصد الله ويطلع على حكمة عنايته : هناك يرافق موسى وصموئيل وداود واشعياء وباقى الأنبياء والرسل . ويدرك كل شىء . وما هى مراتب المجد العالمى بالنسبة لبهاء ذلك المجد الذى حصل عليه فى

https://coptic-treasures.com/

السماء ؟ كان بالأمس ولدا صغير على ذراعى أمه يتلهى بألعابه : أعمى عن ادراك أقل شيء . لا يعرف ما ينفعه مما يضره : فإصبح الان ملاكا بين زمرة الإطهار . وقواه العقلية التى كانت لا تزال فى بدء نموها أضحت الان كاملة . هل تود أيها الوالد أن يرجع ولدك ويطرح من يده قيثاره الذهبى ويعود الى ألعابه الأرضية : أتريد أن يعود طفلا يمرض ويتألم ويعيش فى الجهاد والألم ثم يموت ؟ أنه لا يريد أن يبدل عشرة الملائكة والقديسين بعشرة سكان الارض ، ولا يعود أن يغير منظر الأمجاد السموية بالنظر الى شقاء وتعاسة هذه الدنيا : بل لا يريد أن يبدل ساعة واحدة من ساعات مجده بعشرة الآف عالم مثل هذا العالم .

اعلم أيها الوالد ان ولدك الذى خطف من بين يديك لم يسرقه سارق ، ولا ذهب الى أرض موحشة . بل ان الرب نقله من ميدان الحروب ومعمعة الشر والخطر الى حصن الامن والسلام ، حيث يتمتع بالمجد فى النعيم . ولو بقى على الأرض لصرف أيامه فى الشقاء والتعب والجهاد كما تشعر أنت الآن . قد تخلص من آلام الدنيا وخرج من قفارها حيث لا تقدر مصائبها أن تصل اليه . نقل من تربة الدنيا المعرضة للزوابع وريح السموم وغرس فى جنة الله فهل هو عزاء قليل أن تعرف وتتحقق أن ابنك فى السماء ؟ .

ان تلك آلازهار اليانعة التى كانت تزهو وتزهر فى رياض العالم وذبلت من الدنيا قد أزهرت الآن فى فردوس الله. وهاتيك الشهب الصغير التى غابت عن عيوننا وتظن أنها أطفئت . ليست الا محتجبة وراء الأفق وتضيء الآن بلمعان ساطع فى ديار المجد والنعيم . وتلك الجواهر التى كانت مرصعة على أعناق الوالدات رصعت بالمجد فى ذلك الملكوت الأبدى ، وتلك الشفاه الصغيرة التى ما كانت تقدر أن تنطق بتسبيح اسم الرب . تنادى الآن بألذ أناشيد الحمد والخلاص ، وترنم ترنيمات الشكر والسعادة للجالس على العرش . فكف عن أحزانك أيها الوالد (أو أيتها الوالدة) وامسح عبراتك فان ابنك الذى انفصل عن ذراعيك الأبوية هو الان على ذراعى المخلص . هل كنت تود لولدك الوقوع فى الالام التى تعانيها أنت الان والمرور فى تجارب كالتى تصيب باقى البشر ؟ هل كنت تريد أن يتمزق قلبه كما يتمزق قلبك الآن ،

https://coptic-treasures.com/

ويشاهد ما تشاهده من مناظر الشقاء والتعاسة التى تراها فى الدنيا كل حين . أليس ان مسيره الى السماء بدون دخوله جحيم الالام ونيران عذاب هذه الحياة مما ينبغى أن تقدم لأجله الحمد والشكر للعناية السامية التى أنقذته من الأوجاع . تذكر الجهاد الذى جاهدته فى العالم والأخطار المحيطة بك ، وحينئذ تشكر الله على وصول ولدك الى مواطن السلام بلا مشقة ولا جهاد : وان قلت ان فراق الولد خطب صعب لا يحتمل : أجبتك نعم . لكن مصائب العالم وأتعابه خطب أصعب . لعلك وضعت كل محبتك فى ولدك فاختطفه الله منك لتوجه قلبك اليه تعالى ، ورفعه الى السماء لترفع أنت أيضا أفكارك الى فوق حيث المسيح جالس .

قال السيد لتلاميذه : « خير لكم أن أنطلق » يو (١٦ : ٧) لأنه لو بقى على الأرض لبقيت أفكار التلاميذ معلقة به على الأرض ، ولكن لما ارتفع عنهم الى السماء ارتفعت أفكارهم الى فوق . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك . فطالما أحباؤنا الذين نحبهم معنا على الأرض فلا تزال أفكارنا فيهم ، ولكن اذا امتدت يمين العلى ونقلتهم الى مقاصير السعادة الأبدية صعدت أفكارنا اليهم وفكرنا فى نصيبهم ومجدهم وطلبنا أن نسلك طريقهم للوصول اليهم أخير ، وكثيرا ما يخطف أعز ما تتعلق به قلوبنا ، وأهم ما نتكل عليه سواء من الوالدين أو الأولاد أو الأصدقاء حتى يبقى هو وحده تعالى ركن ايماننا ، وموضع اتكالنا ورجائنا ، وأعز ما يملك على قلوبنا .

قال بعضهم : رأيت راعيا يسوق قطيعه الى الحظيرة ، والقطيع يأبى الدخول مفضلا التيه فى الوعور والقفار حيث زوائر الوحش ومخالب الأسود . فكل الراعى . ثم أخذ خروفا صغيرا على ذراعيه وضمه بلطف الى صدره ودخل به الى الحظيرة فتبعته أم الخروف فتبعها القطيع جميعه فبات الكل فى أمن وسلام ، كذلك الله يقودنا الى الحظيرة السموية فنأبى الا التيه فى قفر الغرور ، فيأخذ صغارنا ويدخلهم السماء فنتبعهم كلنا ، ويقتدى بنا الآخرون فتقيم هنالك فى أحسن أمن وخير وسلام . عناية لا يبصر جمالها الا من أنارت عينيه أشعة الروح القدس ، ولا تدرك فوائدها الا الألباب التى لم تسكر بخمره هذا العالم الباطل .

لا شك أن هذه التأملات بل الحقائق السامية من شأنها أن تمسح دموع الوالدين ، وتملأ قلوبهم بالصبر والتسليم وتحول أحزانهم الى أنهار تعزيات .

https://coptic-treasures.com/

ولو أمكن للأولاد المنتقلين أن يخاطبونا وأمكن لنا أن نسمع إصواتهن لسمعناهم يقولون بنغمة الفرح : ان الذى خلقنا يحبنا ولم يرض أن نذوق مرارة شقاء الدنيا ، ودعانا سريعا الى مجده فلبينا الدعوة فرحين وخضعنا لارادته شاكرين ، ونحن الآن فى غبطة لا تخطر على بال أحد من سكان الأرض . لقد أصبحنا أنقى من ذرات النور وأبهى من الشمس حيث ننتقل من مجد الى مجد ، ومن نعيم الى نعيم ونتردد على سعادات لا توصف . فلا تبكوا علينا بل ابكوا على أنفسكم لأنكم لا تزالون فى الشقاء فى أرض المنفى . أما نحن فقد رجعنا الى وطننا الدائم . مساكين أنتم الآن فيما تعانون ، وماذا كنا نصادف فى العالم لو عشنا على الأرض كما أنتم الآن عائشون . فالحمد لله على النصيب الذى منحه لنا . فلماذا نراكم أيها الوالدون تحزنون وتبكون على نصيبنا السعيد الذى سبقنا فنلناه . قد سبقناكم الى المجد فان كنتم تحبوننا فافتكروا فى نصيبنا ، وليكن همكم وأنتم على الأرض ان تحصلوا على مثل ما حصلنا الى ان يقضى الله بمجيئكم الينا وحينئذ تقدرون أن ترونا وتراكم وتكون معا الى الأبد بلا افتراق ولا انفصال . لا تبكوا علينا بل اخضعوا لما رسمته المشيئة الالهية . لأنه هكذا أنعم الله علينا فالحمد لاسمه العظيم ، ومتى تأملتم خساسة الدنيا وتغير الزمان وقصر الحياة وقابلتموه بأمجادنا الأبدية وأدركتم عناية الله اعترفتم بمحبته التى نقلتنا من أحضانكم الى أحضان الرحمة الأبوية . قبلاتكم التى كنتم تقبلوننا بها لا تساوى شيئا مما نشعر به الآن من محبة . فخلوا عنكم الحزن والألم وأياكم والاعتراض على أعمال الله فان ما يتراءى لكم أنه قساوة نراه نحن عطفا ، وما ظننتموه غضبا حسبناه نحن رحمة ومحبة ، ولا تقولوا اننا خرجنا من العالم فى أوائل الحياة ، فاننا قضينا الغاية من الوجود وهى الحصول على السعادة والمجد والتمتع بالله الى الأبد . تلك الغاية التى لم تبلغوها أنتم بعد والتى نرجو أن تحصلوا عليها وها نحن الآن نرتل مع الملائكة تزنمية جود الله ونسبحه كل حين على هذه النعمة . فلا تنكروا أنتم هذا الاحسان والجود . بل اشكروا الله وتعزوا بأن لكم أولادا فى السماء يقفون أمام الله ويرون وجهه كل حين .

ooo

https://coptic-treasures.com/

المكتبة القبطية المسيحية الأرثوذكسية على الأنترنت
20 ديسمبر 2016